الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: روزاليوسف
التاريخ : ١٩٩٥/٥/١٥

محمد حسنين هيكل

لـ عادل حمودة :

السادات اجتهد فأخطأ !!

هيكل وعادل حمودة

كنت أبتعد عن الموضوعية لو لم أتناول لون السادات في "خريف الغضب"

في ١٩ يناير ١٩٧٧ سقطت عن السادات شرعية الحكم

في موجة من موجات الغضب قال انور السادات عن محمد حسنين هيكل : إنه « عنيد » .. « يضع راسه براسي » .. و« يريد أن يفرض علىّ آراءه » .

كان السادات قد ابعد هيكل عن « الاهرام » في يوم الجمعة الاول من فبراير سنة ١٩٧٤ وعينه مستشاراً لـرئيس الجمهـوريـة ، واتصـل

عبد الفتاح عبد الله وزير شئون رئاسة الجمهورية بهيكل ليخبره بوجود خمس غرف جاهزة تنتظره فى الجناح الذى أعد له فى قصر « عابدين » .. لكن هيكل فاجاه قائلاً :

(إننى لا أنوى الذهاب إلى قصر عابدين وإنما أنا خارج من «الاهرام» إلى بيتى حتى أعثر على مكتب أعمل منه كصحفى وكاتب مستقل) .

وعلى باب « الاهرام » قال هيكل للصحفيين الذين كانوا فى انتظاره : « إننى استعملت حقى فى التعبير عن آرائى بصراحة ، والرئيس السادات استعمل سلطته فى إخراجى من الاهرام » .

فى ذلك اليوم - ومنذ اكثر من ٢٠ سنة - انفصل السادات وهيكل بعد علاقة استمرت حوالى ٢٥ سنة .. يقول هيكل : « لقد رايت السادات اول مرة فى المحكمة .. متهماً باغتيال امين عثمان » .. كان ذلك فى يناير ١٩٤٨ .. ثم رايته وجهاً لوجه بعد عامين فى بيت « يوسف رشاد » المطل على النيل بالجيزة .. « كنت ضيفاً على العشاء مع آخرين ، وذهبت مبكرا بعض الشىء حتى اسمع من يوسف رشاد بعض ما يجرى ، وعندما دخلت وجدته جالساً مع شخص عرفت ملامحه على الفور من متابعة وقائع محاكمة قتلة « امين عثمان » ، ومع ذلك فإن يوسف رشاد قدمه لى باسمه وتبادلنا حديثاً عابرا ثم استاذن هو وانصرف » .

« ثم .. قابلت السادات فى مقر الفرقة الاولى مشاة فى رفح وقضيت يوماً كاملاً معه .. اصر على دعوتى للغداء .. ويومها عرض علىّ كتاباته لارى ما إذا كان يمكن نشرها فى مجلة « آخر ساعة » التى كنت اراس تحريرها فى ذلك الوقت .. كانت الكتابات التى قدمها إلىّ فى ذلك اليوم مجموعة

من القصص القصيرة تملا دفتراً كبيراً مكتوبة كلها بخطه ، ثم قدم لى رواية طويلة عنوانها « أمير الجزيرة » .. ملزلت احتفظ بها حتى الآن » .. بعد حوالى ٤٥ سنة .

بين يوم اللقاء ويوم الانفصال امتدت الجسور بين السادات وهيكل .. ثم قويت هذه الجسور بدعائم « موقفين » فرضا نفسيهما على التاريخ .. الاول هو ما جرى فى مايو ١٩٧١ .. حينما انحاز هيكل للسادات فى صراعه على السلطة مع من اسماهم « مراكز القوى » حتى انفرد بالسلطة .. وقد وصف السادات ، هيكل بانه « مهندس » العملية .. والموقف الثانى هو ماجرى فى اكتوبر ١٩٧٣ .. حينما قرر السادات بجراة تحسب له ، دخول الحرب .. وكان ان وجد هيكل جاهزاً للمشاركة .

لكن .. الجسور التى قويت فى « الحرب » سرعان ما انهارت فى « التفاوض » .. وقد اوضح هيكل اكثر من مرة : « *إننى اختلفت مع السياسة* الرسمية للحكومة المصرية بعد حرب اكتوبر وكان اختلافى بالتحديد فى موضوع فك الارتباط الاول الذى وجدته من وجهة نظرى مؤدياً بالحركة الذاتية للمواقف ـ إلى صلح منفرد مع إسرائيل ، كذلك كان اختلافى مع مجمل توجهات سياسة مصر العربية والخارجية ـ بما فيها الاعتماد الكامل على الولايات المتحدة الامريكية . وإلى جانب ذلك فقد كنت واثقاً ان هذه التوجهات جميعاً سوف تكون لها ـ على نحو او آخر ـ تاثيراتها على السياسة الداخلية فى مصر » .

فى ذلك الوقت وصل هيكل والسادات إلى مفترق الطرق .. وباعدت بينهما السبل .. وقد اندفع السادات فى طريقه .. واختار هيكل .. طريقاً آخر .. وراح يقدم شهادته على ما عاشه وما شارك فيه .. وهكذا .. قدم « خريف الغضب » .. « قصة بداية ونهاية عصر السادات » .. مستخدما ارشيف المؤرخ ، واسلوبه الروائى ، واسلحة ممثل الادعاء .. او الاتهام .

فى يوم «خماسينى» حار، خلعت فيه القاهرة ملابسها الشتوية، رحت اسأل هيكل سؤالاً واحداً، تفرع إلى دروب ومسالك: هل تغيرت رؤيتك للسادات بعد حوالى ٢٥ سنة على توليه السلطة وبعد حوالى ١٤ سنة على رحيله؟.. إن تباعد السنين تنسينا التصرفات والمتاعب الشخصية، وتجعلنا اكثر موضوعية فى تقييم عصر مضى وانقضى.. فهل حان الوقت لإعادة تقييم السادات بعيداً عن الهوى؟

كان هيكل بملابسه الكاملة كالمعتاد، يجلس وراء مكتبه، وامامه «طقم» شاى، ونصف سيجار، وريموت كنترول للتحكم فى ستريو الموسيقى الكلاسيكية التى تملأ المكان.

اكثر من ملاحظة اساسية بدا بها هيكل كلامه، وجدها مدخلاً ضرورياً للحوار:

١ ـ إننا فى مصر نتسم بحساسية زائدة فى التعامل مع السياسة وخصوصاً عند تقييم زعيم او حاكم او رجل دولة.. فإما ان تجد انصار الرجل وقد قاوموا اية عملية تقييم دقيقة له، او تجد خصومه يجرونك إلى ابعد مما تريد.

٢ ـ نحن لا ننظر للشخصيات العامة نظرتنا للبشر، فالشخص العام عندنا هو خليط من الفرعون والمملوك المستبد وامير المؤمنين.. ويستحيل مع هذه النظرة تقييمه بطريقة منطقية.. إننا ننسى ان الشخص العام إنسان، يخطىء، ويصيب، ويمرض، ويدخل الحمام.. ونظرتنا الملتبسة للحاكم ترفعه إلى مصاف انصاف الآلهة.. وهو اول من يصدق ذلك، ولذلك ينقسم الناس حوله إلى مؤمنين او كافرين.. ويصبح تقييمه ياابيض، ياأسود.

٣ ـ إننا نعتبر الموت ستارا يحجب عنا تقييم الحاكم عملا بقاعدة اذكروا محاسن موتاكم.. ومن يتجاوز هذه القاعدة يتهم بنبش القبور وانتهاك حرمة الموتى.

٤ ـ إن رفع الحكام إلى مصاف انصاف الآلهة يجعل من الصعب إيجاد مفاتيح النفاذ إلى

شخصياتهم ، ومن ثم تقييمهم .. فمن الصعب تقبل التحليل النفسى ، وظروف النشاة ، والبيئة ، والتعليم ، والثقافة ، والخبرة (وهى مفاتيح النفاذ للبشر) فى الدخول إلى شخصية الحاكم .

□ لكنك استخدمت هذه المفاتيح ـ ياأستاذ هيكل ـ فى النفاذ إلى شخصية السادات التى رسمتها فى خريف الغضب .

ـــ ونعم .. ووجهت بغضب من بعض الناس .. انا تناولت لون انور السادات .. وانا مش ابيض .. انا من الصعيد .. وعندى أصدقاء من افريقيا .. ولست عنصريا .. ولا اتصور ان اللون نقيصة .. لكنى حاولت ان اجد فى اللون مفتاحا للنفاذ لانور السادات .. كذلك حاولت استعمال مفاتيح النشاة والبيئة .. وهى مشروعة وعلمية .. كل واحد فينا ـ بما فى ذلك رجل السياسة ـ هو ذلك الطفل الذى كان .. وقد زعل البعض كذلك عندما تكلمت عن تاثير الفقر على السادات .. الفقر ليس عيباً .. وانا لم اولد فى عائلة مليونيرات .. انا من الطبقة المتوسطة .. القادمة حديثاً من الريف إلى المدينة .. تصور البعض اننى « اعايره » .. وهو ما لم يخطر ببالى .. انا حاولت ان افهم مكوناته بقدر ما استطيع .

□ قيل .. إن خريف الغضب .. هو تعبير عن غضبك من السادات الذى هاجمك .. ثم فى النهايه وضعك فى السجن .

ـــ لقد اختلفنا انا والسادات فى فبراير ١٩٧٤ ، لكنه لم يعتقلنى إلا فى سبتمبر ١٩٨١ ، وقد تحمل ان اعبر عن رايى وانا فى بلدى .. وقد هاجمنى وانا مواطن عادى ، وبذلك رفعنى من ناحية الاهمية العامة إلى مستوى رئيس الدولة .. خريف الغضب لم يكن غضبى انا شخصيا .. انا لم اكن غاضباً .. لكن مصر كلها هى التى كانت غاضبة بما فيها هو .

□ سنوات طويلة مرت على هذا الغضب الذى

وصل إلى ذروته فى حادث المنصة .. والناس الآن او بعض منهم يتحدثون عن رد الاعتبار للسادات .. ويرون انه كان سابقاً لعصره ..

وعندما وقع الفلسطينيون والاردنيون معاهدة صلح مع إسرائيل وجدنا من يقول : ماكان من الاول .. فهل تشعر بالندم على بعض ما قلته فى خريف الغضب ؟

ـ فى كل مرحلة تعاد كتابة التاريخ كى نجد المبرر للحاضر .. وربما للمستقبل ايضاً .. وإعادة النظر فى التاريخ عملية مستمرة فى كل الشعوب .. واذا لا اشعر بالندم إطلاقاً على اية كلمة قلتها فى خريف الغضب .. لان الكتاب شأنه شأن الشهادة محكوم بزمن وبرؤية .. وفى ولقد اعتقد انى كنت منصفاً .. ولست الآن نادماً .

□ تغير الزمن .. فهل تغيرت رؤيتك ؟

ـ لـلاسف .. مجرى السياسة ، ومجرى الاحداث اكدا اكثر ما كنت اقوله .. ما الذى فعله السادات ؟ إذا كان إعلان العجز عن المواجهة مع إسرائيل رؤية مبكرة فقد كان الملك عبد الله جد الملك حسين اول من اعلن ذلك ، ومن ثم كان يستحق ـ قبل السادات ـ جائزة نوبل .. ومن فضلك اعتبره شهيد السلام الاول .. وإذا تحدثت عن الانحياز للغرب .. من فضلك امنح هذا التقدير لذوى السعيد .. ملاذا غير ذلك ؟

الانفتاح : علينا ان ننظر إلى الصورة الاجتماعية فى مصر لنرى اين وصل الانفتاح !

وعندما نقول للفلسطينيين الذين وقعوا مع إسرائيل ماكان من الاول فنحن ندين السادات اكثر ، لانه فصل مصر عن القوة العربية ، وعندما نطرح مصر من القوة العربية ماذا يتبقى للآخرين سوى الهرولة ؟

إن اى وطنى مصرى مخلص لا يستطيع إلا ان يكون قوميا عربيا .. فحدودنا (سيناء شرقاً والشلالات جنوباً والصحراء الغربية غرباً) تجعلنا بلدا محاصرا .. قوته فى الانتماء والاندماج فى محيطه العربى .. وقد اخرج

السادات مصر من حسابات القوة العربية .. ففتح الثغرات .. واجبر الاخرين على الاستسلام .. وعندما يستسلم الاخرون تقول والله السادات كان على حق .. تعال قل لى فين السبب وفين النتيجة .. إن اكثر ما يثير مخاوف ليس تقييم انور السادات ، وإنما تمرير السياسات .. إن السادات ينطبق عليه مقولة انه رجل اجتهد واخطأ .

تعال نقيم اجتهادات السادات الاساسية .. لعل الفرق بينه وبين عبدالناصر فى موقف معين .. الفقر مثلا .. كلاهما عاش الفقر .. لكن عبدالناصر قاومه والسادات هرب منه ، وانضم إلى الاغنياء .

وتعال نرى إلى اين انتهت الآن نتيجة اعماله وسياساته وقراراته .. لا شك اننا امة فى حالة تردٍ .. وعلى راس اسباب التردى ضياع الفكرة القومية .. الدور المصرى غائب .. تستطيع ان تقول إنك زعيم العالم العربى .. مجرد كلام بلا معنى .. بلا قيمة !!

الاوضاع الاجتماعية كما ترى .. ولك ان تسأل كيف تردت على هذا النحو .. إننا بعد هزيمة يونيو أكملنا بناء القطاع العام ، وانفقنا الكثير على التجهيز للحرب ، وعلى تسليح الجيش ، وفى الوقت نفسه حافظنا على مستوى الاسعار ودعم السلع .. وجاء السادات ليتبنى سياسات مختلفة .. انا مستعد اقول إن اهم ما اخذه على السادات هو ما فعله بالنظام الاقتصادى والاجتماعى فى البلد .

جاء فى سنة ١٩٧٤ ، وانتهج سياسات مختلفة .. انا موافق ان الامر كان يقتضى إعادة النظر .. بما فى ذلك الملكية العامة .. لكن .. ماحدث هو اتهام القطاع العام بالفشل ، وإهماله ، تمهيداً لهدمه او بيعه .. إن التحول عن الشىء لا يعنى اغتياله .. بل إعادة استعماله .. وهو ما تفعله الصين الآن ، وهى تُجرى تحولاتها الضخمة .. إن معدل نمو الصين ١٢٪ ، لانها تركت التراكم يحدث

ويتحالف ، وغيرت فقط فى اساليب العمل ، وفى اساليب الملكية وهو مالم يفتطنه إليه السادات .

لقد أفنى السادات الثراكم ، وتصور انه من الافضل ان يبدأ من الصفر .. متناسياً ان تراكم الثروة والخبرة هو حق من حقوق البلد لا يجوز التفريط فيه .

□ لقد عاش السادات فى ظل عبدالناصر واراد ان يتخلص من كل مايذكره بتلك المرحلة !!.

ـ هذا اخطر ما فعله :: قطع عملية التراكم فى الخبرة السياسية وفى الثروة الاقتصادية :: وراح يبدأ بداية جديدة مهملاً ما تم تكوينه فى حوالى ٢٠ سنة :: وما نعانيه اليوم هو نتيجة لما فعله السادات :: مثل الإرهاب :: الذى جاء بتحالف غير مقدس بين السادات وقوى اخرى ترفع فى السياسة اعلام الدين ، وكانت لها تجارب مريرة وقاسية مع كل نظام حكم فى مصر .

إن كسر التراكم هو اشد نقد يمكن ان يُوجه للسادات .. لقد سألنى بعض المسئولين ذات يوم : هل عندى نسخة من اتفاقية القاهرة الخاصة بلبنان التى وُقعت فى سنة ١٩٦٩ ؟!.. لم يجدوا عندهم نسخة من الاتفاقية بسبب تبديد ملفات كثيرة فى وقت السادات .

هذا الانسلاخ من الماضى ـ والذى يؤثر على التراكم ـ هو مشكلة اثور السادات الشخصية التى انعكست على البلد .. إن الانتقالات سريعة فى حياته .. تخرج فى الكلية الحربية بسرعة ولم يمكث فيها أكثر من ٨ اشهر .. خدم فى الجيش سنتين ، ثم هرب للألمان ، ودخل السجن .. تزوج مرة .. ودخل فى خدمة القصر فى الحرس الحديدى .. ثم انتقل إلى مواقع ثوار يوليو .. وهكذا .. هروب وانسلاخ وبداية جديدة مختلفة لا علاقة لها بما قبلها .. وهو ماحدث فى البلد .. فما فعله فى البلد فى واقع الامر هو انسلاخ مستمر عن الواقع .. وبدايات جديدة .. سريعة .. لا علاقة لها بما قبلها .. ادت إلى عجز وفشل فى التراكم .. هذه القفزات هى ماكان يصفها السادات بالصدمات الكهربائية ..

بالمفاجآت غير المتوقعة .. وهذا غير جائز فى أحوال الأمم .

□ وهذا أيضاً ما فرق بينك وبينه فى فبراير ١٩٧٤ ؟!

ـ نعم .. وقد اعتذرت عن تنفيذ قراره ولم أتسلم العمل مستشاراً له فى قصر عابدين .. رغم إلحاح عدد من الأصدقاء المتصلين وقتها بالسادات وبى ، وضمنهم سيد مرعى وإسماعيل فهمى ، والشرف مروان .. ولم تمض غير أسابيع حتى بدأت محاولات إقناعى بأن الود ، أن أبتعد عن مصر ولو شهوراً قليلة ، وكان بين ماطرحوه علىّ فى تلك الأيام منصب السفير المصرى فى لندن .

□ لكن اللقاءات والاتصالات لم تنقطع بينكما فيما بعد .

ـ بعد قطيعة شهور .. وفى نوفمبر ١٩٧٤ ، اتصل بى تليفونياً وطلب أن ألقاه فى استراحة الهرم ، وكان شيئاً لم يحدث .. كنت مشغولاً بكتابى « الطريق إلى رمضان » .. وكان السادات يشعر بضيق وضغوط من كيسنجر ، وعلى وشك الذهاب للقمة الرباط التى أعلن فيها أن منظمة التحرير هى الممثل الوحيد للفلسطينيين ... وقد تناقشنا كثيراً فى هذه الأمور فى أيام متتالية .. وقد وجدت أن خلافاتنا لا تزال كما هى .. وكان علىّ الانتهاء من الكتاب .. لذلك فقد طلبت منه أن نظل أصدقاء لنرى فيما بعد مايمكن عمله معاً .

ثم فوجئت بعرضه أن أكون نائب رئيس وزراء مع ممدوح سالم .. وأتذكر أننا كنا فى استراحة القناطر ، والسادات مسنود على « شلتة » ، وأنا أحاول أن أقنعه بوجود علاقة بين طبيعة المرحلة ، وطبيعة الشخص الذى يتولى الحكومة .. وذكرته بما جرى فى قصر الطاهرة سنة ١٩٧٣ ، عندما قلت له إن مرحلة مابعد الحرب هى مرحلة تعمير وبناء ، ومن ثم كان اختيار د . عبدالعزيز حجازى لرئاسة الحكومة .. لكنك الآن لا تريده .. وتريد ممدوح سالم .. وقد سبق أن تركت رئاسة الوزراء للدكتور محمود فوزى لكن ذلك قلت فى ممدوح

سالم ، وجيت د . عزيز صدقى ، ثم د . عبدالعزيز حجازى لكن .. ثقتك قلت ايضاً فى ممدوح سالم .. واختيارك لممدوح سالم الآن ينهى هذه الازدواجية .

فقال لى السادات : يسلام عليك يامحمد .. انت شفت الكومبيوتر اللى فى دماغى !!

قلت له : ثقتك فى ممدوح سالم لايمكن تفسيرها إلا بان الامن هو هاجسك الاول .. وانا لا اعتراض لى على ممدوح سالم .. لكن ما اخشاه هو « تبوليس » الحكومة .. اى تصبح بوليسية .

ثم استطردت : إن الحاكم عليه ان يحدد تصوراته الاجتماعية ويقرر هو فى خدمة من ؟!... واضفت قائلاً : انت موجود رئيس جمهورية ليه ؟!.. إنك لو بقيت فى الجيش لكنت اليوم اللواء متقاعد انور السادات ، وساكن فى الحلمية .. لكنك انت اليوم ليه انور السادات رئيس الجمهورية ؟!.. لان هناك معنى اجتماعياً حدث فى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، معنى تعبر عنه مجموعة فى السلطة ، منتمية لاغلبية الشعب فى مصر ، ومعبرة عن مصالحها .. وهذه المجموعة تستمد شرعيتها من انحيازها الاجتماعى الاقتصادى للاغلبية ، وليس لها سند اخر للشرعية مثل الميراث كما فى النظام الملكى ، او مثل الانتخابات بمعناها الذى لا خلاف عليه .

قال السادات : تتكلم عن إيه يامحمد ؟!

قلت : باتكلم عن الأوضاع الاجتماعية !!

قال : انت بتتكلم عن الصراع الطبقى !!

قلت : لا اتكلم عن الصراع الطبقى ، وإنما عن تحديد الهوية الاجتماعية لنظام الحكم .. لان هذه الهوية هى التى تحدد شرعيته ..

قال وقد بدا يكتب باصبعه فى الهواء : انا انور السادات رئيس الجمهورية بناء على تقاليد الشعب المصرى وتقاليد القرية والعائلة المصرية قررنا ما هو آت .. يلغى الحقد الطبقى .. وعلى جميع وزرائنا تنفيذ هذا .

ثم التفت لى قائلاً : فهمت يامحمد ؟!

قلت : الحقيقة إنى لم افهم ..

القضية هنا ان السادات هرب من الواقع

الاجتماعى ، فتجاوز شرعية وجوده فى السلطة .. إن شرعية النظام فى مصر من ١٩٥٢ ، حتى الآن ليست قائمة على الميراث او الانتخاب .. شرعيته قائمة على ولائه الاجتماعي للاغلبية .

وعندما يقول عبدالناصر تحالف قوى الشعب ، ويريد انور السادات ان يستبدل هذا التحالف لا مانع ولا اعتراض .. ولكن لا تقل لى أخلاق القرية .. ولا تعود بى للعمدة ولشيخ الخفر .. ولشيخ البلد .. مش معقول .. هنا التراكم يضيع .. والهوية تلحق بالتراكم فى التيه .

□ الا ترى فى السادات اشياء إيجابية ؟!

ـــ السادات على المستوى الإنسانى شخصية مثيرة فيها جوانب تستحق الإعجاب .

□ فقط ؟!

ـــ لا .. انا اعتقد انه جاء فى مرحلة ، البلد كان يلهث فيه وهو قد اعطى فرصة للانفلاس كى تهدأ وهو قد اتخذ قراراً فى منتهى الشجاعة ، وفى منتهى الاهمية ، قرار حرب اكتوبر ، وإن كان بعد الحرب قد قفز إلى مواقع اخرى مؤكداً بذلك مشكلتيه : معاداة التراكم والهروب المستمر .

□ لو كان قراره فى اكتوبر يتسم بالشجاعة فهل قرارك بالوقوف إلى جانبه فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، قراراً شجاعاً ايضاً ؟!

ـــ شجاعة السادات فى اكتوبر شجاعة غير طبيعية .. اما فى مايو فكانت شجاعة إجبارية لانه كان يدافع عن نفسه .. رقبته كانت مُهددة .. وقد واجه ظروفاً داخلية فى منتهى الصعوبة .. واجه مجموعات تريد ان تفرض تصورات معينة عليه ، انا اعتقد ولازال اعتقد انها خاطئة فى كل شىء ، وكان يعتمد فى المواجهة على قوى كبيرة جداً تؤيده ، وكنت انا واحد من مؤيديه ، وكان لى دور رئيسى فيما جرى ، وهو قد وصفنى بأننى مهندس العملية ، وانا سعيد بذلك .

فى اكتوبر كان على السادات ان يتخذ القرار بمفرده وفى جو يمتلىء بالإحباط ، ولم يتصور احد انه سيتخذه .. وانا اعتقد ان احسن ماتجلى

فيه هو هذا القرار ، وكان فى افضل احواله فى الفترة من ٥ سبتمبر حتى ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ .. كان يفعل كل ما فى وسعه .

□ بعد حوالى ربع قرن على احداث مايو .. هل كان ماجرى مؤامرة على السادات ام مؤامرة فى تدبيره ؟!

ـ مشكلة السادات انه جاء بعد شخصية تاريخية فى حجم جمال عبدالناصر .. والصدمة الاساسية مقالة كتبتها بعنوان : « عبدالناصر ليس اسطورة » .. قلت فيها إن غيابه جعل من الصعب على غيره ان يتحمل مسئولياته ، ومن ثم فالبديل هو إعادة تنظيم الخطوط وتدعيمها كان هناك صراع سلطة .. نعم .. المشكلة ان البعض اراد استعمال ميراث جمال عبدالناصر ليكون قيداً على السادات يمنعه من الحركة .. وللإنصاف فإن ذلك كان من اسباب هروب السادات مما يمكن ان يفرض عليه باسم مرحلة معينة .. لكن .. كان عليه ان يفعل ذلك لفترة ما حتى يتاكد ان الامور استقامت .. ومايسوقش فيها كما فعل !! واحب ان اقول إننى اقترحت عليه دراسة متغيرات العصر وقدمنا ورقة المتغيرات .. كان على الناس ان تعلم ان اشياء كثيرة تغيرت ، وانه حتى لو كان عبدالناصر موجوداً لاستجاب لهذه التغيرات والتى كان بعضها مؤجلاً إلى مابعد حرب التحرير .. كان لابد من إعادة النظر فى امور كثيرة ، وهذا ليس عيباً .. لكن بشرط الا يضر التغيير بميراثك ، ولا يبدد تراكم خبرتك .

□ متى قابلت السادات آخر مرة ؟!

ـ فى شتاء ١٩٧٥ ..

□ لكن .. الاتصالات التليفونية بينكما لم تنقطع ؟!

ـ تكلمنا فى التليفون معاً كثيراً .. بعد اتفاقية فك الارتباط الثانى جاءنى إسماعيل فهمى وكنا فى الصيف .. فى كابينتى بالإسكندرية ، وقال لى : إن فيه هجوم شديد جداً على الاتفاقية ، وان السادات طلب انك انت تتولى الرد .. قلت :

كيف ؟! .. قال : هو طلب ان اعطيك صورة لما جرى .. وسالته : هل في الاتفاقية تعهدات سرية ؟! قال : لا .. ثم وقبل ان ينصرف رن التليفون ، وكان فوزى عبدالحافظ سكرتير السادات ، وقال : « الرئيس عاوزك » .. وجاء صوته طبيعياً ، وكان شيئاً لم يكن .. قال : ايوه يامحمد .. إسماعيل جالك ؟!.. قلت : مازال عندى... قال : « انا مش عايز حد يدافع عنى ، إنا القدر ادافع عن نفسى ، لكن مصر بتتهاجم يامحمد .. وعايزك تدافع عنها » .

قلت له : بالامس كنت فى فندق فلسطين وقابلت بالصدفة جوزيف سيسكو وتناقشت معه فيما قراته فى « هيرالدتربيون » عن البنود السرية ، وسيسكو اكد انها موجودة ، وإسماعيل فهمى نفاها .

قال السادات : مفيش حاجات سرية .

قلت : لكنى قرات عنها فى التربيون ..

قال : محمد هل ستصدقنى ام ستصدق التربيون ؟!

قلت : اصدقك انت لكن الحقيقة انا محتار

قال : بلاش بلبلة .. حتكتب ولا مش حتكتب ؟!.. انا باسال سؤال واضح ومش عايز فيه بلبلة .. حتكتب ولا مش حتكتب ؟!

قلت : لا مش حاكتب ..

قال : إن شالله عنك ماكتبت .

ووضع السماعة .

□ ثم تكلمتما معاً مرة اخرى وكان شيئاً لم يكن ؟!

ـ نعم .. وكان ذلك بعد حوادث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ .. كنت فى بيتى الريفى فى « برقاش » .. وكانت التليفونات معطلة .. وفوجئت برئيس الحرس المرافق لسيد مرعى العقيد شريف امامى ، وقال إن رئيس مجلس الشعب (سيد مرعى) يريد ان يراك ، فقلت له : البلد فيها حظر تجول ، قال : انا مع سيادتك ، قلت : واسرتى ؟ قال : ناخذها معنا .. قلت : لا اريد لاحد ان يعرضها لسوء ، غداً صباحاً ساكون

عندكم .. وفى الصباح وجدت مصطفى خليل وسيد مرعى يبحثان الموقف ، وقد اعتراهما القلق وراحا يتحدثان عن تضافر القوى فى مثل هذه الظروف .. ومن جانبى شرحت وجهة نظرى .. وبعد قليل جاء حسن مرعى يطلب من سيد مرعى الذهاب لحجرة المكتب لأن الرئيس السادات على التليفون .. ثم طُلب منى ان الحق بسيد مرعى ، وكان يشرح وجهة نظرى التى كنت اقولها قبل قليل .. واعطانى سيد مرعى السماعة وجرى بينى وبين السادات الحوار التالى :

- اهلاً ياافندم .. اتمنى الا تكون متضايقاً .
- هو ده ما كنت اقوله لك دائماً يامحمد .
- إيه هو ؟
- مراكز القوى اهم اتحركوا .
- اعمل معروف لا داعى لاستدعاء اشباح نسيناها .
- لا .. لا .. يامحمد .

وبدات اشرح وجهة نظرى الاجتماعية فى تفسير المظاهرات ، وبعد ان انتهيت قال :

- ما فهمتش حاجة .. انت جرالك إيه .. صديت ؟

لم اعلق .

قال : عايزك تفكر .. وحنتكلم .

مساء نفس اليوم ولكن فى بيتى لقيت منه مكالمة اخرى ، قال فيها :

- انا قلت لسيد (يقصد سيد مرعى) يعدى عليك يعرف افكارك .

قلت له : الحكاية ليست حكاية افكار .. القضية تشخيص ما حصل حتى نتوصل لعلاج مناسب .. وانا شايف ما حصل هو ظاهرة اجتماعية .

قال : لا .. لا .

قلت : نحن بصدد اتجاهين للتفسير .. اتجاه اجتماعى واتجاه امنى ..

ورحت حوالى الساعة اشرح ما اعنيه ، وكاد السادات ان يقتنع بان الازمة اجتماعية .. ثم

قال :

ـ انا غداً ساجتمع بمجلس الامن القومى .. وساتصل بك قبل الاجتماع .

فى اليوم التالى عندما كلمنى قبل الاجتماع بدا قريباً من وجهة نظرى .. وكان ذلك فى الساعة العاشرة صباحاً .. ولكن بعد الاجتماع وفى الساعة السادسة مساء مر علىّ سيد مرعى ليقول لى : لا تضايق الرئيس ولا تلح عليه بما عندك . ثم كلمنى السادات .. وقال :

ـ محمد .. انت عايزنى اصدقك واكذب اللى شايفة قدام عينى .

قلت : إللى هو إيه ؟

قال : مؤامرة مفيش شك ، فيها شيوعيين والروس وكله وانا مش واخد بالى .. انا حاضرب .. فكرت .. فكرت يامحمد ؟

قلت : لقد قلت إن القضية قضية تشخيص والتشخيص هو الذى سيحدد العلاج ، اما وقد وصلت لتشخيص انا غير مقتنع به إذن الحل ليس بيدى وإنما بيد صاحب التشخيص .

قال : انت عايز تفرض علىّ رايك ؟

قلت : لا طبعاً لكن انا باقول إن احسن من يخدم سياسة ما هو من يقتنع بدواعيها .. انا غير مقتنع بانها مؤامرة .. انا مقتنع انها انفجار اجتماعى .. وإذا كان رايى سليم يبقى العلاج اجتماعى ، وإذا كان التشخيص انها مؤامرة يبقى العلاج بالضرب ، وانـا لا ادخل فى الضرب .. فهو ليس من اختصاصى .

قال : انا كنت متصور انك ستكتب الكلام الذى ساقوله ..

قلت : إذا كنا مختلفين فكيف ساكتب ؟

قال وقد استبد به غضب مفاجىء : طيب .. شاكر يامحمد .. كتر خيرك .

□ قلت اكثر من مرة إن مظاهرات الطعام فى يناير ١٩٧٧ طاردته وارقته ودفعته للهروب ومن ثم كانت زيارته للقدس .

السادات اقام مجده على حرب اكتوبر لكن هذا

المجد اهتز فى ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ عندما حدث انفصال بينه وبين الناس وانا اعتقد انه فى ١٨ و١٩ يناير انتهت شرعية حكمه .. فى اى حكم فى العالم الثالث ستجد خطوطاً دفاعية .. اولى هذه الخطوط مصداقيته عند الناس ثم قدرة وسائله الإعلامية ، ثم قوى الامن .. عندما يلجا النظام للقوات المسلحة كى يضرب الناس .. تنتهى الشرعية .. ولقد اسفر حظر التجوال فى احداث ١٨ و١٩ يناير عن ١٧٨ قتيلاً فى الشوارع .

□ القفز لإسرائيل هل هو فقط نتيجة لما جرى فى ١٨ و١٩ يناير ؟

- جزء كبير منه .

□ لماذا لا تفسر هذه الخطوة على انها شجاعة وبعد نظر ؟

- هل حدث مثل ذلك فى تاريخ اى صراع .. الناس رجعوا بهذه الخطوة فى الغرب .. لكنها كانت هروباً من الواقع .. انت عندك مليون طريقة للسلام .. وقد اقترح إسماعيل فهمى عمل اجتماع فى البيت الابيض يحضره رؤساء دول الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن ، مع مصر وإسرائيل ، وباقى دول الصراع .. وهى فكرة معقولة .

□ هل تختلف على الأسلوب ام على النتائج ؟

- هل توصلنا إلى سلام ؟.. كيف ؟ وهناك قوة نووية تهددك ؟ انا موافق ان الاسلحة النووية لا تستخدم إلا فى حالات لا يمكن تصورها بالعقل لكن لا يمكن تجاوز الخيارات السياسية التى يفرضها وجود السلاح النووى .. السلام فصم قوة مصر من محيطها العربى .. وساهم فى تردى احوال العالم العربى .. غياب عن لبنان .. علاقة سيئة مع السودان .. تونس غير مرحبة بدخولك الاتحاد المغاربى .. وحتى هذه اللحظة لا تعرف مصير حوالى ٦٠٠ الف مصرى فى العراق .. وسايب إسرائيل تطيح فى إيران .. افرض ان عندها تكنولوجيا نووية .. ما المانع ؟ إيران عندها ٣ مفاعلات اشتراها الشاه كانت معطلة وتحاول تشغيلها .. ولا اعتقد انها قادرة على

التعامل مع البلوتونيوم .. كل ما عندك من تكنولوجيا نووية فى المنطقة يدُمر .. غير مسموح لك به .. معظم ما نعانى منه هو حصاد لاندفاعات سريعة ومتقلبة داخلياً وعربياً وعالميا

□ كيف تلقيت خبر مصرع السادات ؟

ـ تاثرت . وبكيت .. انا عندى ضعف إنسانى شديد تجاه السادات .. لقد خضنا معاً احداث مايو واكتوبر .. واختلفنا فى قضية سياسية .. وقد اخترع ان اكون مستشاراً ونائب رئيس وزراء ورئيس ديوانه لكننى اعتذرت ولم اجد فى اى من ذلك دورى او نفسى .

□ قال السادات : إنك تريد ان تحكم مصر ؟

ـ ياسادات .. مرة كنا فى برقاش وكان السادات وسيد مرعى وعائلاتنا ، وقدم السادات منشوراً موقعاً باسم « ناصريون هيكليون » ، وكان ذلك بعد سنة من احداث مايو ، وقدم السادات ـ الذى كان جالساً تحت شجرة اكاسيا ـ المنشور لى قائلاً :

ـ شفت الكلام ده يامحمد .

قلت : إيه الكلام ده ؟

قال : دول ناس بيقولوا إن اكتر واحد يقدر يكمل بعد عبد الناصر هو هيكل .

قلت له : ده شغل مباحث .

□ لم تغير السنوات وجهة نظرك ياستاذ هيكل ؟

ـ للاسف اكدتها ومع ذلك فإننى حين اتذكره كرجل اتذكر احسن ما فيه . فخلافى معه خلاف راى ورؤية وليس كراهية او عداء .. واقول لك اكثر إننى فى بعض المرات احاول جاهداً ان ابحث عن اعذار .. واروح اقرا واقرا فى الوقائع وفى الوثائق واقول لنفسى مقطعاً من بيت شعر يقول : لعل لهم عذراً وانت تلوم !

عادل حمودة